منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (5225) السنة التاسعة عشرة - الاربعاء (20) تموز 2022

نيلسون مانديلا

اليوم الدولي للتسامح

أيقونة العصر يودّع عالماً تداعت فيه القيم: نيلسون مانديلا يتحدث صامتاً..!

فخري كريم

ظل العالم مشغولاً بمانديلا مذ اصبح"الأبارثيد"او ما عرف بالفصل العنصري، خللاً اخلاقياً هتك ضمائر سدنة العالم الرأسمالي، وعرّى ازدواجية معاييرهم السياسية والاخلاقية، وفضح الدوافع الخفية لدعاواهم حول مزاعم حقوق الانسان والحرية والديمقراطية. وباتت تلك الشعارات، كلما تقادم الزمن على حجر مانديلا والالاف من رفاقه في سجون الفصل العنصري، مجرد لافتات رثة، تفضحها الممارسات الرسمية في رعاية حكام جنوب افريقيا والدول المأسورة الاخرى، المحيطة بها.

وقد كان التناقض بين الادعاء بالاستنكار والرفض، والوقائع الدامغة بتسويق "الابارثيد" دولياً وأينما كان ممكناً عزله، فاضحاً الى الحد الذي أثار موجات من الكراهية في المجتمعات الرأسمالية ضد المروجين من الحكومات مع قادة الفصل العنصري، ممّا أدى في نهاية المطاف الى عزلهم وتشديد الخناق على جنوب أفريقيا،التي ظل نظامها المارق موضع رعاية ودعم وتواصل في الخفاء.

في السبعينيات ترأست وفد منظمة الصحفيين العالمية لتقصي الحقائق حول الابارثيد، تجول الوفد الدولي خلالها في الدول المحيطة بجنوب إفريقيا والتقى بقادة الدول المناصرة للمؤتمر الوطني، حامل راية الكفاح ضد الفصل العنصري. كان الصراع الخفي بين أجنحة الحركات الثورية في افريقيا بيّناً، بين الموالية لـ"موسكو" وتلك الموالية لـ"الصين"، وقد لعب ذلك الصراع دوراً سلبياً في انضاج شروط الانتصار وتحرير البلدان الخاضعة لنفوذ نظام جنوب افريقيا او المتأثرة بالسياسات المناوئة للتحرر والاستقلال. ورغم ذلك فأن المؤتمر الوطني، بشقيه السياسي والعسكري، كان يستقطب دعماً محلياً ودولياً واسعاً.

وفي تلك المرحلة كان البعث العراقي ونظامه، يعبران عن الانحياز لكل قضية تقع على اطراف الكرة الارضية وفي الجانب الاخر منه، ما دام لا يشكل تهديداً ايديولوجيا او سياسيا لسلطته واطماعه. بل العكس من ذلك، اذ كان يوظف تلك القضايا البعيدة في القارات الاخرى لذر الرماد، وتزكية سياساته الداخلية والظهور بمظهر المناصر لقضايا الشعوب في اطار نهجه وفلسفته الديماغوجية.

ومن هذا المنطلق كان البعث يعلن التعاطف مع كفاح المؤتمر الوطني ضد حكومة الفصل العنصري، كما يخصص مساحة واسعة من سياسته الخارجية للعلاقات الوثيقة مع كوبا. وفي كل ذلك كانت تتضح ملامح النوايا السرية للبعث في وضع البلاد والحركة الوطنية تحت المقصلة المعدة باتقان اجرامي، وعن سبق اصرار وتخطيط.

على محور الكفاح الذي كان يتصاعد حول جنوب إفريقيا، التقينا بكوادر ومناضلين من المؤتمر الوطني. كانت المفاجأة بالنسبة لنا، هذا الخليط من البيض والسود والخلاسيين المتوحدين في بوتقة النضال، دون ان تنال من صلابتهم او تفرقهم الوان البشرة، والاصول العرقية، والخلفيات الايديولوجية والدينية والقبائلية، ودون ان تضعف علاقاتهم اللهجات والأديان والعقائد.

مانديلا، لم يكن فرادة في هذا الإنجاز، وإنما كانت حوله كوكبة من المناضلين، الذين غيّبتهم السجون والمعتقلات والمنافي البعيدة.

ما كان يُميز مانديلا، خصاله التي لم يحد عنها طوال حياته، وما كان يمنحه الحق بالفرادة، تمثله دون تصنّع او افتعال او ادعاء، للقيم التي تضفي على الانسانَ إنسانيتهَ، وتحولهُ الى مثل وقدوة. والانسان يكبر كلما تماهى مع المُثل التي اُستمد منها خصاله، وحين يتسامى فوق الاعتبارات العرضية في الحياة، ويغدو رمزاً، يستحيل لقوة باطشة أن تنال من قامته، فالطغيان يمكن أن يقيّد حركته، ويحد من حريته في المكان، لكنه يعجز مهما استكبر أو تَهَتّك، ان ينتزع ارادته، ويستفرد بضميره، ويلوث وجدانه.

إن البطل لن يتكامل إلا اذا كان "إنساناً، وكلما هو إنساني ليس غريباً عنه"! هكذا استطاع مانديلا ان يتحامل على جراحه، وهو يذوي "جسدياً" في السجن، وتتآكل سنوات عمره، ويظل محافظاً على قسمات إنسانيته العصيّة على الانكسار.

ولأنه إنسان، عجينته تخمّرت على شعاع لا تحد من تسلله الى بيوت الصفيح والطين ومعازّل الفصل العنصري، اعتى قوى البطش والتمييز والتجبّر، التقط لحظة امتزاج ظلال تلك الاشعة في كل الانحاء من جنوب افريقيا، لتشكل فسيفساء وطن وشعب متعدد الاعراق والاديان والقبائل والعقائد، تتمايز فيها مطامح ومطامع واهواء، وتفرقها قيم تتضاد وهي تنحاز لمصالحها الضيقة، وتأكل من رصيد غيرها حد التخمة، لتزيد من جموع العراة والجياع. في تلك اللحظة من حياته المديدة وضع مانديلا يده على شغاف قلبه، واستجاب لتدفقات وجدانه وعقله، وادرك مغزى الانتباه الى ذلك التنوع والتعدد، واستطاع ان يشخص بوعي عميق، انها تعبير عن الكينونة الانسانية، وان تكون كذلك، فليس سوى ان تمسك بخيوط نسيجها، وتجعل منها مقاماً للالوان والاشكال والرموز التي تشكل خارطة جنوب افريقيا، بل مُجسداً للتكوين الإنساني.

بعد ان اصبح رمزاً، رفض ان ينوب عن رفاقه وشعبه وحزبه، ليتفاوض، حتى جاءه التفويض. وعندما قبل التمثيل، لم يطرح ولا مرة واحدة، تحريره من السجن كشرط أو تمهيد!

اصبحَ نلسون مانديلا رئيسا لكل شعب جنوب افريقيا. واستمد شعاره من طيف الرؤيا التي ادركته في السجن: التسامح، والوحدة. لكنه لم يقايضهما بجوهر قيمه ونزوعه الإنسانية، وظل وفياً لها لا يترك مناسبة دون التأكيد عليها: المساواة والعدالة الاجتماعية..

وحين انتهت ولايته الاولى، امتنع عن قبول ولاية ثانية، منطلقاً من قوة المثل الذي اراد ان يستكمل مسيرته الحياتية به، بل من إيمانه ايضاً بحاجة التجربة الى طاقة الشباب والتجديد، واكثر من ذلك، إحساسه بان ما يخلفه من صواب او خطأ سيكون تقليدا، ولهذا ارسى، وهو يكتفي بولاية واحدة، قاعدة التداول السلمي للسلطة..!

بدلاً من ان يأسره الكرسي، حامت حوله كل كراسي الحكم في العالم،من اكثرها سلطة ونفوذا الى تلك الهامشية التي تعتاش على فضلات الآخرين وتتشبث بالكرسي الهزاز المتصدع.. كان رؤساء الولايات المتحدة وأوربا وآسيا وملكة بريطانيا وبقايا الملوك في العالم، يتسابقون على الانفراد به وتناول وجبة عشاء او غداء، او قدح من الشاي الافريقي، والتقاط صور تذكارية معه! لم افاجأ وانا استمع الى مانديلا وهو يسلم الولاية "ترشيحاً" لخلفه امبيكي.

كان الرئيس الجديد "جاك" مسؤولاً للفرقة الحزبية، للحزب الشيوعي في جنوب افريقيا، معه محمد الخلاسي المسلم، وجيني وود البيضاء. وبعد انتهاء فترة دراستهم في موسكو، عاد محمد الى الوطن، ليلقى القبض عليه، ويُعذب حتى الموت، ثم يُلقى من اعلى طابق في مبنى الامن المركزي.

وكلما اردت ان اسبر اعماق مانديلا لاكتشف تلك البذرات التي كانت في اساس تكوينه، اعود الى ذكريات موسكو في معهد العلوم الاجتماعية "المدرسة الحزبية" واسترجع ما كان يفعله كل من "جاك- امبيكي" الذي اصبح خليفة مانديلا والشهيد محمد والمناضلة جيني وود، وهم يتناوبون بعد انتهاء فصول الدراسة، على زيارة قائد الحزب الشيوعي لجنوب افريقيا، رفيق مانديلا منذ الصبا، لقراءة كتاب جديد له، ولتفقده..!

المشهد الذي لا يفارق ذاكرة إنسان متوازن، مانديلا وهو ماثلٌ كأي مواطن امام المحكمة، مع انه رئيس الدولة، لطلب الطلاق من زوجته ويني. قوة المثل على خصاله الرفيعة، عكسها هذه المرة ايضاً جوابه على سؤال القاضي عن زوجته وسبب الطلاق، فقد دافع عنها ورفض توجيه اي اساءة لها او تعريض بها، متجاوزاً التقولات والاشاعات التي كانت تنال منها..!

هل كان عرضياً ان تتسابق وسائل الاعلام وقادة الدول على نعي مانديلا وعرض سيرة حياته، وتمر المناسبة علينا، كما تمر اخبار التفجيرات ومئات القتلى والجرحى يومياً..؟

رحل مانديلا عن دنيانا الفانية، مهموماً بصمت الحكيم، وهو لم يحقق للشعب المساواة والعدالة الاجتماعية، وظل التسامح رايته التي تلفع بها في مدفنه.

رحل مانديلا لكن كواسر الرأسمال ولصوص المال العام والفساد،سيظلون لا يعرفون المعنى الإنساني العميق الوضاء للتسامح..

ذه المادة سبق ان نشرت بعد رحيل مانديلا

الأسئلة الصعبة..

حول الأنسان - البسيط - نلسون مانديلا

عماد عبد اللطيف سالم

1 – لماذا لم يخرج نلسون مانديلا شاهرا سيفه على الناس.. بعد خمسة وعشرين عاما من النضال المرير.. وخمسة وعشرين عاما من السجن الأنفرادي والأشغال الشاقّة؟

2 – لماذا شكّك المراقبون الدوليون بنتائج الأنتخابات التي جرت في جنوب أفريقيا بعد سقوط نظام الفصل العنصري، عندما أظهرت نتائج فرز الأصوات في مدينة "سويتو" (قلعة السود المضطهدين، وحزب المؤتمر الوطني الأفريقي).. حصول ممثلي "البيض" على عدد كبير من أصوات الناخبين "السود" فيها. ومنعا للطعن في نزاهة الأنتخابات، والتشكيك في مصداقيتها، أبلغ مانديلا المراقبين أنه حين علم بان "البيض" لن يتمكنوا من الحصول على العدد الكافي من الأصوات التي تؤهلهم للمشاركة في الحكم (ضمن النظام الجديد)، فأنه طلب من أنصاره.. في معقله التاريخي ذاك.. أن يصوّت بعضهم للبيض، ومعادلة الكفّة.. وذلك لكي لا تعمل نتائج الانتخابات على إقصائهم وتهميشهم، وخسارة جنوب أفريقيا "الجديدة" لخبراتهم وثرواتهم، وقبل كل ذلك للسلم والتماسك الأجتماعي.. في بلد كان مليئاً بالجلادين والضحايا.. ولا شيء آخر.. وأصبح كل منهم في مواجهة الآخر الآن.. ولا شيء آخر.؟

3 – لماذا لم يخرج نلسون مانديلا يوما.. (ولن يخرج أبداً).. في لقاء تلفزيوني.. ليتحدث عن الظلم الذي لحق به وبشعبه وعرقه وحزبه.. وعن الدماء والعسف والأهانة الممنهجة.. وهدر الكرامة البشرية.. والقتل المنظم.. في ظل دولة الخوف السابقة؟

4 – لماذا يظهر نلسون مانديلا.. دائما.. وهو يبتسم.. ليشيع من حوله روح التسامح والحب.. ويمنح الأنسان.. على امتداد هذه الأرض.. مثالا على أن الكراهية لا تحقق النصر لأحد.. وأنها لن تلحق الهزيمة إلا بصنّاعها.. المهزومون سلفاً؟

5 – لماذا لا يتصرّف قادتنا، وزعماؤنا "الجدد" بهذه الطريقة؟ ولماذا لا "نكرههم" رغم ذلك؟ ولماذا نصدّق أن جميع مصائرنا معلّقة بتاريخهم الرث.. وسلوكهم الرث.. وعقليتهم الرثة؟

6 – لماذا يحدث كل ذلك هناك.. ولا يحدث شيءٌ منهُ هنا؟

عزيزي المواطن العربي. ليس شرطا للنجاح... أن تكون إجابة "القطيع" وافية عن جميع الأسئلة. فقط إضغط على "الأنظمة الجديدة".. و "الدول الجديدة".. و "القادة الجدد" و "السلاطين الجدد".. الوارثون لـ "الرعاة" المستبدّين "السابقون".. في "المراعي" العربية "القديمة".. وأترك أجابتك.

أربعة كتب عن مانديلا

المؤلف: آدم هوشتشايلد

ترجمة: المدى

هناك وليمة من الكتب الجيدة عن جنوب افريقيا كتبها افارقة من جنوب افريقيا، تمتد من روايات نادين غورديمر و زاكيس مدا الى كتب التاريخ بيقلم ليونارد تومبسون و نويل موستيرت الى دراسات شارلس فان اونسيلين الخاصة بالبحث عن الذهب او اخر القرن التاسع عشر و التي ساعدت على عصرنة جنوب افريقيا. من بين الكتب المؤلفة عن نيلسون مانديلا، اليك اول أربعة اختيارات.

مانديلا: السيرة المعتمدة، بقلم انتوني سامبسون

على أي قارئ ان يأخذ أية سيرة معتمدة بقليل من الشك خاصة اذا كان موضوعها لايزال حيا. حتى في افضل الحالات – و من الصعب العثور على شخصية نموذجية مثل مانديلا – هناك قصص لا يجوز لأي شخص اخبارها. مع ذلك، فان هذا كتاب يستحق القراءة. فالمرحوم انتوني سامبسون كان صحفيا بريطانيا جيدا عمل في جنوب افريقيا خلال شبابه، و كان يتردد عليها غالبا و تعرّف الى مانديلا جيدا بحيث يقال انه ساعد في وضع مسودة خطابه الشهير الذي القاه في المحكمة و هو على وشك ان يحكم عليه بالسجن مدى الحياة.

المسير الطويل الى الحرية، بقلم نيلسون مانديلا

على القارئ ان يكون اكثر شكا بشأن أية سيرة ذاتية لسياسي، خاصة تلك التي تنشر عشية أية انتخابات. في عام 1994، عندما تمكن سكان جنوب افريقيا بكل اطيافهم من الذهاب للاقتراع لأول مرة، كان مانديلا حريصا، في كتابه هذا، على طمأنة السكان البيض بان رئاسته لن تتسم بالكراهية و الانتقام، و كان صادقا في هذا. و رغم انحنائها المتوقع للحلفاء السياسيين فان هذه المذكرات، عن حياة رجل غير اعتيادي بالطريقة التي اراد هو ان يسردها، تعتبر وثيقة تاريخية مهمة.

بعد مانديلا: النضال من اجل الحرية في جنوب افريقيا بعد الفصل العنصري، بقلم دوغلاس فوستر

لم يخترق و لم يتلوث بأية خرافات او اساطير، فان هذا الكتاب يعتبر الى حد كبير من أمتع الكتب عن جنوب افريقيا نشر في السنوات الخمس او العشر الاخيرة. لقد نجح فوستر، الاميركي، في التعمق داخل الجوانب المختلفة لجنوب افريقيا الحالية و التي نادرا ما يجد المراسلون الاجانب وقتا لها، مثل تاريخ حياة و الروتين اليومي لمجرم شاب في شارع كيب تاون، الحياة المضطربة لاطفال السود و الاحفاد الجدد، و التنافس المرير بين سكان جنوب افريقيا من السود و السمر.

ما وراء المعجزة: داخل جنوب افريقيا، بقلم اليستر سباركي

هذه الحكاية التي كتبها صحفي جنوب افريقي مخضرم محددة التاريخ قليلا و ترسم الى حد ما صورة اكثر تفاؤلا مما لدينا اليوم، لكن سباركي يعرف بلده جيدا. كما انه حكيم بما يكفي ليفهم الاختلاف الكبير بين الديمقراطية السياسية و العدالة الاقتصادية – انها لمسافة واسعة جدا على جنوب افريقيا تغطيتها لتحقيق العدالة الاقتصادية.

مانديلا.. طريق الحرية

علاء المفرجي

في فيلم "مانديلا طريق طويل نحو الحرية" نحن أمام سيرة رجل اكتسب صفة الأسطورة، بوصفه أيقونة للحرية ميزت التاريخ السياسي لقرن كامل، هي ايضا حكاية رجل وحكاية وطن، تداولها الناس في كل مكان، الى درجة اقتربت فيها من الأسطورة، حكايات، وأغان، ومثل اعلى.

انها ببساطة سَيرة رجل نذر نفسه للحرية، حرية وطنه وشعبه، كما أنها سيرة رجل غيِّب لأكثر من ربع قرن في غياهب المعتقلات والسجون بتهمة قلب نظام الحكم، ليخرج منها ظافرا متوجا بالغار بوصفه الرجل الاول في الدولة منتخبا من قبل الشعب رئيسا لها.

نيلسون مانديلا الذي قدم أمثولة بالنضال الذي لايكل من اجل الحرية والانعتاق من ربقة التمييز العنصري، أمثولة في الصمود على المبادئ، وتحمل شتى صنوف القهر والقمع، والتي لم تمنعه يوم نال حريته وحقوقه المدنية بوصفه ضحية على مدى أربعة عقود في ان يغفر، بل يضرب مثلا في التسامح ونسيان أذى من أساء له، بفهم يسمو على كل نوازع الانتقام التي من شأنها، ان تحول الضحية الى جلاد.

هذه السيرة على قدر وضوحها، على قدر جسامة مهمة معالجتها كعمل إبداعي يرقى لمستوى فعلها التاريخي الذي عاشته أجيال من شعوب الأرض وبالأخص الشعوب الأفريقية.

في هذا الفيلم الذي أخرجه (جوستان شادويك) وتزامن عرضه مع رحيله عن خمسة وتسعين عاما، يتناول سيرة احد اهم الرموز الإنسانية في القرن العشرين، من الذين عرفوا بنضالهم السلمي، نيلسون مانديلا الذي ناضل من اجل الغاء التمييز العنصري، وإشاعة المساواة بين الأعراق، وهو الهدف الذي حققه أخيرا وهو يضع الأسس لأول نظام ديمقراطي في أفريقيا.

خلال العقود الثلاثة الأخيرة كانت سيرة هذا الرجل مصدر الهام للعديد من صناع الأفلام التسجيلية والروائية، نذكر منها فيلم "مانديلا" المنتج عام 1986 خلال فترة سجنه وجسد البطولة فيه الممثل داني كلوفر، وفيلم (وداعا بافانا) المستوحى من قصة حقيقية عن سجين ابيض تتغير حياته بتأثير سجين اخر يقوم بحراسته وما هذا السجين إلا نيلسون مانديلا نفسه. وكذلك فيلم (انفكتوس) الذي قام باخراجه كلينت ايستوود وجسد شخصية مانديلا فيه مورغان فريمان فيما لعب مات دامون دور قائد منتخب جنوب أفريقيا للركبي وهو الفريق المفضل لمانديلا في بداية تسنمه الرئاسة في بلده.

اما فيلمنا "مانديلا طريق طويل نحو الحرية" والذي أجاد في تجسيد دور مانديلا فيه الممثل البريطاني (إدريس ايلبا) فانه يعتمد على سيرته الذاتية التي صدرت سنة 1994، بناء على مذكراته التي بدأ في كتابتها عام 1974 في سجن روبن ايلاند وانتهى منها بعد الإفراج عنه عام 1990.

ومن هنا فان الفيلم يقتفي سنوات طفولته الأولى ونضاله من اجل الحرية لشعبه وسنوات الاعتقال والإفراج عنه بعد 27 عاما ثم انتخابه كأول رئيس أسود لجنوب أفريقيا بعد سقوط نظام الفصل العنصري فيها.

فيلم مشوق مثل سيرة صاحبه فعلى مدى ساعتين ونصف يرحل بنا المخرج جوستان شادويك الى اهم المحطات في حياة الرجل مشحونة بالرومانسية وتفاصيل سلوكه وانشغاله بالهم الإنساني والوطني، بإتقان عال ولغة سينمائية جميلة.

ويرصد أيضا نضج أفكاره واستجابتها للمتغير خاصة ما يتعلق بقراره الحاسم والذي اصبح درسا للإنسانية بالصفح عن جلاديه، وفتح صفحة جديدة بالعلاقات الانسانية التي تعتمد التسامح والمحبة بين البشر.

نيلسون مانديلا.. ليس سهلا الطريق الى الحرية

محمد إسماعيل

قبل اكثر من نصف قرن، كان الآلاف يصلون من أجله للنجاة من حكم إعدام قد تصدره محكمة عنصرية، ففي الـ ١٢ من يونيو عام ١٩٦٤ تحديداً، سطر المناضل نيلسون مانديلا فصلاً من (مسيرة طويلة نحو الحرية) لنفسه وشعبه، رغم الحكم عليه بالسجن مدى الحياة، إذ ظل يواصل مقاومته لنظام التمييز العنصري، حتى وهو وراء جدران معتقل، تهاوت بعد ٢٧ عاما قضاها مانديلا خلفها.

في معتقل بجزيرة معزولة، وفي ليال مظلمة، غافل فيها سجانيه، كتب نيلسون مانديلا سيرته الذاتية، وحاول أن يهربها الى الخارج، لكن لم يفلح في ذلك هو ورفاقه، كما روى في سيرته «مسيرة طويلة نحو الحرية»، الذي يحوي جانباً كبيراً من قصة حياة المناضل الرمز، واعتمد نيلسون مانديلا في كتابه على كثير مما ذكره في مخطوطاته الأولى التي حاول تهريبها من السجن.

تحفل السيرة، بمرادفات الحرية والعدالة والكرامة والمقاومة، وغيرها من الكلمات التي يستدعيها مجرد ذكر نيلسون مانديلا، واللافت أن المناضل الذي تدهورت حالته الصحية أخيراً، ويصارع في المستشفى من أجل الحياة، لم يحاول إضفاء هالات على حياته، بل سرد في صفحاتها أحداثاً قد لا تروق للبعض، خصوصاً ممن يعتبرون الرجل أسطورة عصرية، وأيقونة ذات بريق باهر.

ختم الزعيم نيلسون مانديلا مذكراته بسطور تعلن مرحلة مختلفة، وتلخص مسيرة حياته قائلا: «لم أولد وعندي فهم للحرية، فلقد ولدت حرا قدر معرفتي عن الحرية، كنت حرا أن أجري في الحقول قرب كوخ والدتي، وحرا في أن أسبح في القناة الصافية في قريتي وأمارس النشاطات الصبيانية الأخرى. لكن في جوهانسبرغ رأيت ببطء ليس فقط أنني لست حرا، بل إن جميع من هم على لوني لا يتمتعون بالحرية، والتحقت بالمؤتمر الوطني الإفريقي، وعند ذلك تبدل فهمي لحريتي بفهم أكبر لحرية شعبي. وخلال تلك السنوات الطويلة تحول فهمي لحرية كل الناس، بيضا وسودا، فقد كنت أعلم أنه لابد من تحرير الظالم من الكراهية والتحيز وضيق الأفق. وحينما خرجت من السجن كانت مهمتي هي تحرير الظالم والمظلوم، وقد يقول البعض إنه تم إنجاز ذلك، لكني أعلم أن هذا غير صحيح، فقد خطونا الخطوة الأولى فقط على طريق أطول وأصعب، فلأن تكون حرا لا يعني فقط أن تلقي بقيدك، لكن أيضا أن تعيش بطريقة تحترم وتعلي من حريات الآخرين. ولقد سرت ذلك الطريق الطويل نحو الحرية، وحاولت ألا أتعثر، لكنني اتخذت خطوات خاطئة على الطريق. وقد اكتشفت اليسر أنه بعد أن يكمل الإنسان تسلق تل يكتشف أن هناك تلالاً أخرى كثيرة عليه تسلقها. لقد أخذت لحظة هنا للراحة لأسترق النظر الى ذلك المشهد المجيد الذي يحيط بي، وأنظر خلفي الى المسافة التي قطعتها، لكنني لا أستطيع التوقف سوى لحظة، لأن الحرية تأتي بمسؤوليات، ولا أستطيع الإطالة، لأن مسيرتي لم تنته بعد».

روى مانديلا في «مسيرة طويلة نحو الحرية" مراجعاته لذاته، ولحظات الضعف الإنساني التي اعترته خلال رحلة الكفاح الطويلة، وقوفه أمام نفسه ومساءلته لها: ما الجدوى من كفاح يقود الى المعتقل؟ وما ذنب الأسرة الصغيرة؟ ولم يخف صاحب السيرة أساه عندما علم بوفاة أمه وهو في السجن، وكذلك عندما جاءه خبر موت ابنه في حادث سيارة، ولم تسمح له السلطات بحضور جنازته.

تبدأ السيرة بفصل بعنوان «طفولة في الريف»، إذ ولد دوليهلاهلا (الاسم الأصلي لمانديلا قبل أن تمنحه إحدى معلماته في ما بعد اسم نيلسون)، في قرية مفيزو بمنطقة ترانسكي التي تبعد مئات الأميال عن جوهانسبرغ، في الـ 18 من يوليو عام 1918، لوالد بمثابة زعيم قبيلة، لكن لم تستمر زعامته طويلا، إذ كان ضحية لحكم جائر من «سيد أبيض»، فقد على إثره تلك المكانة والثروة أيضا، ورحل الوالد والابن في التاسعة من العمر، لينتقل مانديلا الابن الى وصي يقوم على شأنه وتربيته.

تلقى نيلسون مانديلا تعليمه، وحاز شهادة متوسطة، والتحق بعدها بالجامعة، لكنه تركها نتيجة تمسكه ببعض مواقفه، واصطدامه برئيس تلك الجامعة، الذي اعتبره مانديلا أحد البيض المستبدين.

لم تتبلور أفكار المناضل الشاب خلال تلك المرحلة المبكرة من حياته، بل على العكس من ذلك، كانت أقصى أمانيه أن يصير «جنتلمان إنجليزيا»، يرى في النظام البرلماني الغربي قمة الديمقراطية، وعاش خلال تلك المرحلة منبهرا بنمط الحياة الإنجليزي، الى أن ترك الإقليم الذي يستقر فيه، ورحل إلى مدينة جوهانسبرغ. الطريف أن قصة الرحيل كانت بمثابة رحلة هروب من عروس، فالوصي الذي كان يرعى شؤون مانديلا تخير له فتاة، وحاول تزويجه بها، إلا أن الشاب آثر ترك المكان، والتمرد على ذلك التقليد، وكأنه يعلن عن جانب من شخصيته العنيدة.

تمييز عنصري

في المدينة الكبيرة، فتح مانديلا عينيه على مظاهر البؤس التي يحياها كثير من الملونين، أفارقة وهنودا، وقبلها سياسة التمييز العنصري وضحاياها: «كانت جريمة أن تدخل من باب مخصص للبيض، وجريمة أن تركب حافلة للبيض، وجريمة أن تستعمل صنبور مياه للبيض، وجريمة أن تسير على شاطئ مخصص للبيض، وجريمة أن توجد في الشارع بعد الحادية عشرة مساء، وجريمة ألا تحمل دفتر تصاريح، وجريمة أن يكون هناك توقيع خطأ في الدفتر، وجريمة أن تكون عاطلا، وجريمة أن تصل في المكان الخطأ، وجريمة أن سكن في المكان الخطأ، وجريمة ألا يكون لك سكن. كنا نسمع يومياً آلاف الإهانات التي يلقاها الأفارقة في حياتهم».

التحق مانديلا في بداية استقراره بالمدينة بالعمل في أحد المناجم، عاش أياما صعبة، وذاق مرارات كثيرة، مثل الآلاف من أبناء شعبه، دخل بعد حين الجامعة، وحصل على إجازة الحقوق، وصار محامياً للفقراء، انغمس في هموم السود، وانخرط كذلك في العمل السياسي، وحزب المؤتمر الوطني الإفريقي، صار بعد فترة أحد أبرز وجوهه، وطاف أرجاء كثيرة في بلاده، ودخل في صراعات بالجملة مع السلطات، خصوصا بعد دعوات الاضرابات والعصيان المدني.

أصبح مانديلا أحد وجوه النضال في بلاده ضد الابارتايد (نظام التمييز العنصري)، تحول الى مطلوب لدى السلطات، يحكي عن تلك الفترة قائلا: «أصبحت مخلوقاً ليلياً، فكنت لا أخرج لعملي إلا في الظلام. وفي الأساس كنت أعمل في جوهانسبرغ، لكنني كنت أسافر إذا استدعى الأمر. كنت أقيم في شقق خالية، وفي منازل الآخرين، وفي أي مكان يمكن أن أكون فيه وحيداً وغير مرئي. وعندما كنت أعيش مختبئا كنت لا أسير طويلاً معتدل القامة، وكنت أتكلم بصوت خفيض من دون وضوح أو تميز، وكنت لا أسأل عن أي شيء، بل كنت أترك الآخرين يخبرونني عما أعمل. وكنت غالباً ما أتخفى كسائق أو طباخ أو بستاني، وكنت أرتدي الزي الأزرق، أو زي عمال الزراعة».

تحول مانديلا في مسيرة النضال للوصول الى الحرية، من الشاب الذي يرى طوق النجاة في اتباع النهج الغربي، حيث التحضر والثقافة، إلى مناضل عنيد يعد إفريقيته حلا لأزمات العنصرية في بلاده، بل وفي القارة السمراء كلها، استطاع الهروب من جنوب إفريقيا، وتواصل مع زعماء دول تحاول التحرر والنهوض، وزار العديد منها، فحل في إثيوبيا والسودان، واطلع على تجارب المقاومة في الجزائر، والتقى ثوارا في المغرب، وكانت له وقفة خاصة مع مصر تحديدا، مع حضارتها القديمة، ر، يقول مانديلا عن ذلك في سيرته الذاتية: «كانت مصر قد تملكت مخيلتي وأنا طالب كمهد للحضارة الإفريقية وكنز لجمال الفن والتصميم، وكنت دائما أرغب في زيارة الأهرام وأبو الهول وعبور نهر النيل أعظم أنهار إفريقيا، ذهبت الى القاهرة وقضيت يومي الأول في المتحف أفحص القطع الفنية، وأدون الملاحظات وأجمع المعلومات عن نمط الرجال الذين أسسوا حضارة وادي النيل القديمة، ولم يكن اهتمامي اهتمام هاوياً للآثار، فإن من المهم للأفارقة القوميين أن يتسلحوا بالبرهان الذي يدحضون به ادعاءات البيض بأن الأفارقة لم تكن لهم في الماضي حضارة تضارع مدنية الغرب. واكتشفت في صباح واحد أن المصريين كانوا يبدعون أعمالا فنية ومعمارية عظيمة، بينما كان الغربيون في الكهوف. وكانت مصر نموذجا مهما لنا،

بعد مرحلة من التخفي، والخروج سرا من البلاد والعودة إليها، ومطاردة المخابرات، تم إلقاء القبض على نيلسون مانديلا، وفي إحدى جلسات محاكمته دخل بزي قبيلته الإفريقي المميز، ما أثار حفيظة السلطات، وصادرت ذلك الزي، واستمرت الجلسات فترة طويلة، وحكم على مانديلا بعد ذلك بالسجن مدى الحياة، وطارت شهرة المناضل إلى جهات العالم الأربع، إذ نقلت صحف عدة دفاعه عن نفسه، ومهاجمته للنظام العنصري في بلاده، واعتباره سبب مآسي شعبه، مؤكداً أن قضيته ليست موجهة إلى كره البيض، بل العمل على خلق وطن ديمقراطي يتمتع فيه الجميع بالمساواة، ويعيشون معا في سلام، ولم يخف المناضل الإفريقي قناعاته بما دفع «المؤتمر الوطني" الى انتهاج وسائل مقاومة غير سلمية، بعدما أغلقت السلطات كل سبيل في وجه أعضائه.

لم يضعف الحكم بالسجن المؤبد نيلسون مانديلا، بل أعلن أنه كان مستعدا للموت في سبيل قضية تحرر شعبه، ولم يندم على المسافات الطويلة التي قطعها نحو النور والحرية، بل وعمل وهو في السجن على إبقاء جذوة الكفاح مشتعلة، فتواصل مع مسجونين سياسيين، للوقوف على أخبار المقاومين في الخارج، رغم نفيهم في سجن بعيد في جزيرة معزولة.

حمل نيلسون مانديلا راية التمرد في المعتقل، إذ رفض في البداية الزي الذي كان يوزع على المساجين السود تحديدا، إذ رفض أن يرتدي الشورتات القصيرة، التي تظهر المساجين السود كأنهم صبيان فاقدو الأهلية، رفضت سلطات السجن تذمر المناضل نيلسون مانديلا، واقتادته الى حبس انفرادي. لم يكن ذلك فصله الأول والأخير مع رفض استبداد السجان، إذ عمل على تحسين أحوال المحبوسين، وليس حاله هو تحديدا، مرة مع الطعام، ومرة مع تخفيف العمل، وتوفير ظروف شبه إنسانية للمسجونين.

عمدت السلطات العنصرية إلى تضييق الخناق على نيلسون مانديلا ورفاقه في السجن، فرضوا عليهم أعمالا شديدة الصعوبة، تفتيت صخر، وعمل في المحاجر، ونوم في غرف رطبة، وطعام شديد الرداءة، وعزل عن العالم الخارجي، ومنع زيارات إلا مرة في العام، وتمزيق رسائل قادمة من الأهل، وغيرها من صور المضايقة التي لجأت اليها سلطات السجن، لكي يتخلى مانديلا وغيره من المناضلين عن قضيتهم، وينسون ما يدور هناك في السجن العنصري الكبير، خارج الجزيرة المعزولين فيها.

يفصل مانديلا في سيرته الذاتية يوميات السجن، ويمنحها مساحة كبيرة، فهي 27 عاماً، وليست مجرد فترة عابرة، ولا ينسى المناضل الجنوب إفريقي أن ينسب بعض الفضل لأهله، فالصورة لم تكن شديدة العتمة طوال تلك الأعوام، فثمة أيام خفف وطأة محبسه فيها سجان يتعاطف، يمرر إليه بعض الأشياء، جرائد أو أوراقا، أو طعاما مختلفا، أو ملابس جديدة. في نهاية الثمانينات، ظهرت طاقة نور في النفق المظلم، تصاعدت الاحتجاجات في خارج السجن، في ساحات جنوب إفريقيا، وطالب زعماء وقادة دول بإطلاق سراح مانديلا، ما دفع رئيس جنوب إفريقيا حينها إلى الدخول في مفاوضات مع السجين المناضل، شريطة تخليه ورفاقه عن نهجهم القديم، وإدانتهم لما يقوم به مناصرو «المؤتمر الوطني». لكن مانديلا رفض الاشتراطات، وأجبر السلطات على الجلوس معهم والتفاوض بلا أي تنازلات، ونقل مانديلا إلى سجن آخر، وخلال تلك الفترة التفاوضية تحديداً كان شبه مطلق السرح، يقيم في استراحة خاصة، حتى تم الإفراج عنه في 1990.

استقبل نيلسون استقبال الأبطال، وخطب في شعبه في العديد من المدن، صدم السلطات التي كانت تظن أن السجن قد أوهن عزيمته، وأنه قد وصل الى أقصى ما يتمناه من شهرة، إذ أعلن نيلسون مانديلا عن مواصلته السير في درب المقاومة حتى يواصل أحلام شعبه، وينهي تماما نظام التمييز العنصري في بلاده، وينعم الكل في وطنه بالمساواة والكرامة الإنسانية، بل وأعلن أنه في هذه السجن مستعد للذهاب إلى السجن مرة أخرى، من أجل استكمال مسيرة الحرية التي بدأها وهو شاب. اعترفت السلطات بالمؤتمر الوطني، ولم يعد هناك حظر على أعضائه، وعلى غيره من المنظمات، كما تم الإفراج عن المسجونين السياسيين، وتم هدم نظام الابارتيد، لتشرق شمس جديدة على جنوب إفريقيا، بفضل مانديلا ورفاقه.

عن الحوار المتمدن

نيلسون مانديلا ماركسيا

ترجمة: عبدالخالق علي

في عام 2011 نشر المؤرخ البريطاني ستيفن ايليس بحثا توصل فيه الى ان نيلسون مانديلا كان عضوا في الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي - وفي الواقع عضوا في اللجنة المركزية الحاكمة. رغم ان حزب مانديلا (المؤتمر الوطني الأفريقي) و الحزب الشيوعي كانا متحالفين علنا ضد العنصرية، فان مانديلا و حزب المؤتمر الوطني كانا ينفيان ان يكون بطل تحرير جنوب أفريقيا هو نفسه عضوا في حزب. الا ان ايليس، بناءً على شهادة أعضاء سابقين في الحزب و على الارشيف المتوفر حاليا،استطاع الإقناع بأن مانديلا انضم الى الحزب بحدود عام 1960، أي قبل عدة سنوات من الحكم عليه مدى الحياة بتهمة التآمر لأسقاط الحكومة.

أثارت هذه الأنباء بعض النقاد و منقحي التاريخ الذين أدعوا بان ذلك يقدّم حزب المؤتمر الوطني كواجهة ستالينية، و ربما أثار شعوراً بالتبرئة بين الأميركان الذين أيدوا دعم حرب حكومتهم الباردة للنظام العنصري المناهض للشيوعية.

البروفيسور ايليس ليس مدافعا عن حكم البيض – انه يشغل مقعدا جامعيا في امستردام مسمى يحمل أسم بطل آخر من المقاومة الجنوب أفريقية هو رئيس الأساقفة دزموند توتو – لكنه يؤكد ان الانتماء للشيوعيين قد أطّر إيديولوجية حزب المؤتمر الوطني بأساليب لازالت حتى يومنا هذا على نحو ينذر بالشر.

اليوم لايزال حزب المؤتمر الوطني الأفريقي يدّعي رسميا بانه في المرحلة الأولى من ثورة ذات مرحلتين، يقول ايليس "هذه نظرية حصلنا عليها مباشرة من الفكر السوفييتي».

في الواقع ان بقايا البروتوكول و المصطلحات الشيوعية – مثل (الرفاق) و (الثورة المضادة) – لاتزال حية في منصات و سلوكيات الحزب الحاكم في جنوب أفريقيا. نظرتي الشخصية الى هذه المسألة، و التي تأطرت من تغطية الاتحاد السوفييتي من 1986 الى 1991 و جنوب أفريقيا من 1992 الى 1995، تحظى بالأحترام لكنها ايضا متحفظة في حدودها. في روسيا غورباتشوف و في جنوب أفريقيا الانتقالية، أدركت ان ما يعتنقه الناس في اجتماعات الحزب و ما يقنن في سجلاته لا يكون دائما دليلا موثوقا على ما سيقومون به أو حتى ما يؤمنون به فعلا.

لكن انتماء مانديلا الشيوعي ليس مجرد شيء قليل من حطام التاريخ، انه لا يبرر الاغواء الأحمر و من المؤكد لا يقلل من الإرث البطولي، لكنه مهم في بعض الجوانب. أولا، ان عضوية مانديلا القصيرة في الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي و تحالفه طويل الأجل مع شيوعيين مخلصين، تحكي عن ايديولوجيته أقل مما تحكي عن واقعيته. كان متناقضا في مختلف الأوقات: وطنيا أسود، معارضا للكفاح المسلح و مدافعا عن العنف، متهورا و اكثر الحاضرين هدوء، مستهلكا للمساحات الماركسية و معجبا بديمقراطية الغرب، شريكا قويا للشيوعيين، و في رئاسته شريكا قويا لرأسماليي جنوب أفريقيا الأقوياء. التعاون المبكر لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي مع الشيوعيين كان زواجا توافقيا لحركة ليس لها الكثير من الأصدقاء. كان الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي و رعاته في روسيا و الصين مصدرا للمال و السلاح للكفاح المسلح الضعيف، و كان يعني للكثيرين تضامنا مع قضية اكبر من جنوب أفريقيا. الأيديولوجية الشيوعية سارعت في الدخول الى حزب المؤتمر الوطني حيث أصبحت جزءا من كوكتيل جنوب أفريقي فريد من نوعه مع (القوميين الأفارقة) و (الوعي الأسود) و (الليبرالية الدينية) و غيرها، ما أثار خليطا من الغضب غير المتجانس و الاستياء و التشوق. لكن في المراحل المهمة – في المفاوضات لإنهاء حكم البيض ثم في كتابة الدستور و في الحكم – خسر فصيل الوطنيين و المطالبين بالانتقام أمام مؤيدي المصالحة.

في المحادثات التي مهدت للديمقراطية، كان جو بلوفو، الزعيم المخضرم للحزب الشيوعي الجنوب أفريقي و الرجل ذو الخطاب الثوري الطليق، اكثر المؤيدين المتحمسين لمشاركة السلطة مع نظام البيض. كان المبدأ السائد هو فعل أي شيء للنهوض بقضية (جنوب أفريقي يحكمه جنوب أفريقيون). كان هذا ينطبق على مانديلا و على خليفته ثابو مبيكي. يبدو ان الرئيس الحالي – جاكوب زوما – لا يمتلك أية ايديولوجية عدا الاغتناء الشخصي.

في احدى محاكماته العديدة سئل مانديلا ما اذا كان شيوعيا، رد قائلا "اذا كنت تعني بالشيوعي عضوا في الحزب الشيوعي و شخص يؤمن بنظرية ماركس و انجلز و لينين و ستالين، و يتمسك بقوة بالانضباط الحزبي، فاني لست شيوعيا"، كان الرد متملصا و دقيقا جدا.

ربما كان أهم و أطول تأثير شخصي للحزب الشيوعي الجنوب أفريقي على مانديلا هو أنه جعله، أو ساعد على جعله، غير عنصري ملتزم. كان حزب المؤتمر الوطني خلال سنوات تشكيله لا يقبل الا السود. على مدى فترة طويلة كان الحزب الشيوعي الشريك الوحيد في الحركة الذي ضم البيض و الهنود و أعضاء مختلطي الأعراق. تلك العلاقة هي واحد من الأسباب الرئيسية التي اعتمدها مانديلا في رفضه للقومية السوداء و في إصراره على ان الأعراق المتعددة تبقى في قلب أخلاقيات حزب المؤتمر الوطني الأفريقي.

سبب ثالث لأهمية الانتماء الشيوعي هو انه يساعد على تفسير سبب عدم تقدم جنوب أفريقيا تجاه تحسين حياة الطبقة المسحوقة الكبيرة، و اجتثاث الفساد، و توحيد الشعب المنقسم. يمكن تفسير الفشل المتكرر لحزب المؤتمر الوطني خلال تسلمه السلطة لمدة 19 عاما، بحقيقة كونه لم ينجح تماما في الانتقال من حركة تحرير الى حزب سياسي، اذا لم نقل الى حكومة.

الحزب الشيوعي هو الملام في ذلك مثل أي شخص آخر، لكني أعتقد ان ما يعطل قدرة حزب المؤتمر الوطني هو ليس العقيدة الستالينية أو أية عقيدة أخرى. انه شيء في الطبيعة، و في الثقافة، و في حركات التحرير. فبعد ان يوحدهم عدو مشترك، يميلون الى التآمر و إفشال الانشقاق و تفضيل الغاية على الوسيلة.

من الطبيعي في النهاية، ان يكون اكبر فضل قدمته الشيوعية لمانديلا و لحزب المؤتمر الوطني هو الانهيار. عندما تفككت الكتلة السوفييتية و تحولت الصين الى الرأسمالية، لم يعد آخر الحكام البيض لجنوب أفريقيا يشكّل حليفا ضروريا على الجانب الأيمن للحرب الباردة. كانوا يعلمون ان اللعبة قد انتهت.

عن: نيويورك تايمز

نيلسون مانديلا.. يخاطبنا

عبد المنعم الأعسم

أعتذر أولا عن الخوض في شؤونكم الخاصة، وسامحوني إن كنت دسست أنفي فيما لا ينبغي التقحم فيه، لكني أحسست أن واجب النصح أولا، والوفاء ثانيا لما أوليتمونا إياه من مساندة أيام صراع الفصل العنصري يحتمان عليّ رد الجميل، وإنْ بإبداء رأي محّصته التجارب، وعجنته الأيامُ، وأنضجته السجون.

ايها الاصدقاء: إن الحرية لا تقبل التجزئة لأن القيود التي تكبل شخصاً واحداً في بلادي إنما هي قيود تكبل أبناء وطني أجمعين، لكنّ أن يكون الإنسان حرا لا يعني مجرد تحرره من الأغلال التي تقيده بل أن يعيش بطريقة تحترم وتعزز حرية الآخرين، واقول لكم، إن الرجل الذي يسلب من رجل آخر حريته هو سجين للكراهية، وهو محبوس خلف قضبان التحامل وضيق الأفق.

لقد سرت على الدرب الطويل للوصول إلى الحرية، وحاولت ألا أفقد حماسي، ولقد قمت ببعض الخطوات الخاطئة على طول الطريق، ولكنني اكتشف السر أنه بعد تسلق جبل عظيم، يجد المرء أن هناك جبالا أخرى كثيرة ينبغي تسلقها.

إني أتجول، الآن، بين عالمين، أحدهما ميت والآخر عاجز أن يولد، وليس هناك مكان حتى الآن أريح عليه رأسي، فقد حاربت ضد هيمنة البيض (الطائفة الحاكمة) وحاربت ضد هيمنة السود (الطائفة المحكومة) وأثمن قيمة وجود مجتمع ديمقراطي حر يعيش فيه الجميع في تناغم وفي ظل فرص متساوية.. إنها قيمة أتمنى أن أعيش من أجلها وأن أحققها، ولكن إذا ما استدعت الضرورة، فإنني مستعد للموت من أجلها، فلن يحدث أبدا أبدا أبدا مرة أخرى في هذه البلاد الجميلة أن يتم قمع طرف بواسطة طرف آخر.

لقد تعلمت أن الشجاعة ليست هي غياب الخوف، بل هي هزيمته، فالشخص الشجاع ليس الشخص الذي لا يشعر بالخوف، بل هو الذي يهزم هذا الخوف، ففي بعض الأحيان، تحتاج إلى جرافة، وفي أحيان أخرى، تحتاج إلى فرشاة لإزالة الغبار، وإذا كنت تريد أن تصنع السلام مع عدوك، فيتعين أن تعمل معه، وعندئذ سوف يصبح شريكك.

وباختصار:

أن السؤال الذي ملأ جوانحي دائما هو: كيف سنتعامل مع إرث الظلم لنقيم مكانه عدلا؟ أكاد أحس أن هذا السؤال هو ما يقلقكم اليوم. لقد خرجتم لتوكم من سجنكم الكبير. وهو سؤال قد تحدّد الإجابة عليه طبيعة الاتجاهات التي ستنتهي إليه جهودكم، من جانبي لقد شكلت "لجنة الحقيقة والمصالحة" التي جلس فيها المعتدي والمعتدى عليه، وتصارحا، وسامح كل منهما الآخر.. إنها سياسة مرة لكنها ناجعة.

ظاهرة نيلسون مانديلا

تحول نيلسون مانديلا الى اسطورة حية،عندما كان ما يزال على قيد الحياة و قبل رحيله بمدة طويلة، وهذه حالٍة نادرة في التأريخ البشري تستحق الوقوف عندها طويلا. زعماء العالم من الولايات المتحدة الأميركية الى الصين ومن بريطانيا الى اليابان، ومن كندا الى روسيا و كثيرون غيرهم من القادة والزعماء والمفكرين نعوا نيلسون مانديلا كشخصية فريدة وظاهرة لن تتكرر في هذا العصر وربما حتى في العصور اللاحقة.

جودت هوشيار

مانديلا لم يكن وطنيا ومناضلا عنيدا وحسب – أسهم بقسط وافر في القضاء على نظام " الأبارتهيد " وانقاذ شعبه من براثن التمييز العنصري الظلم والبؤس والشقاء – بل أيضا زعيما سياسيا أخلاقيا تحلى بأسمى الصفات الأنسانية في زمن غابت فيه الأخلاق عن السياسة، فلم تسكره نشوة الأنتصار للأنتقام من جلاديه، بل انه بذل أقصى جهوده بعد وصوله الى السلطة في الدعوة الى قيم التسامح ونبذ الكراهية والمصالحة في تناغم لم تعهده البشرية من قبل.

تخلى مانديلا عن السلطة و أعتزل السياسة بمحض أرادته وهو في أوج شعبيته وبعد أن حقق لبلاده وشعبه انجازات كبيرة في شتى جوانب الحياة.. فعلى سبيل المثال لا الحصر تم خلال فترة حكمه بناء (500) مستشفى وأكثر من (750) ألف دار سكنية. وبفضل انجازاته الأقتصادية واصلاحاته الأجتماعية ونضاله ضد سياسة التمييز العنصري حصل مانديلا على الأعتراف به كزعيم إصلاحي من طراز فريد على المستويين المحلي والعالمي.

ولد مانديلا في عام 1918 وتخرج في كلية الحقوق بجامعة جنوب افريقيا عام 1942 وانضم الى المؤتمر الوطني الأفريقي عام 1944 وتدرج في السلم الحزبي حتى اصبح بحلول عام 1949 احد قادة الحزب المرموقين واشتهر بنضاله الدؤوب ضد سياسة الفصل العنصري. اعتقل مانديلا في عام 1962 وحكم عليه بالسجن سبع سنوات، بيد أنه لم يتوقف لحظة عن النضال حتى من وراء اسوار السجن. وقد أتهمته السلطات بقيادة المقاومة الشعبية والكفاح المسلح واعيدت محاكمته مجددا فصدر بحقه حكم بالسجن المؤبد عام 1964.

اكتسب مانديلا خلال فترة سجنه شهرة واسعة ونظمت في جمهورية جنوب افريقيا وفي ارجاء العالم حملات جماهيرية واسعة النطاق تطالب باطلاق سراحه واصبح بطلا قوميا ورمزا لكفاح الأغلبية السوداء في بلاده، وقد أضطرت حكومة " دي كليرك " تحت ضغط المقاومة الشعبية والرأي العام العالمي الى اطلاق سراح مانديلا في 11 / 2 / 1990. وبعد خروجه من السجن بحوالي شهر واحد انتخب نائبا لرئيس الحزب، ثم رئيسا للحزب بأغلبية ساحقة.

بعد أنتهاء فترة ولايته الأولى في عام 1999 رفض ترشيح نفسه لدورة ثانية وفضل الأبتعاد عن المعترك السياسي وتفرغ لحياته الخاصة

زار مانديلا في أوائل عام 2000 السجن الذي أمضى فيه سنوات طويلة في جزيرة " روبين " وأشعل شمعة في الزنزانة الأنفرادية التي سجن فيها، وعقب مغادرته المكان صرح للصحفيين قائلا: " كان القرن الماضي مخيبا للأمال «.

شخصية متعددة المواهب:

كان مانديلا خطيبا مفوها يسحر السامع بفصاحته وكلامه البليغ. ويكفي الأطلاع على كلماته المؤثرة التي ألقاها دفاعا عن نفسه وحقوق شعبه عند محاكمته في عامي 1962 و1964 للأقتناع بأن مانديلا كان أحد المع الخطباء في عصرنا الراهن. كما كان صاحب أفكار إصلاحية رائدة تجلت في مؤلفاته، وفنانا مرهف الحس، يبدع حتى في ظروف بالغة القسوة وهو في زنزانته الأنفرادية في سجن جزيرة " روبين " الموحشة.

مؤلفات مانديلا:

الأعتقاد الشائد ان السياسة والثقافة على طرفي نقيض ولكن ظاهرة مانديلا تثبت ان السياسي الأخلاقي يمكن أن يكون في الوقت ذاته مفكرا ومبدعا وأنسانيا الى أبعد الحدود.

اصدر مانديلا العديد من الكتب التي لقيت وتلقى رواجا كبيرا، ولا أعرف على وجه الدقة عدد الكتب التي ألفها مانديلا ولكن شاءت المصادفة أن أطلع على ثلاثة منها وهي كالآتي:

الكتاب الأول " ليس ثمة طريق سهل الى الحرية " (1965) والثاني " أنا على استعداد للموت " (1979). اما الكتاب الثالث، فأنه يتضمن مذكراته التي نشرها عام (1994) تحت عنوان " رحلة طويلة نحو الحرية «.

مانديلا الفنان:

في اكتوبر عام 2002 أقيم في لندن معرض فني تحت عنوان " الأسود والأبيض " عرضت فيه اللوحات الفنية التي رسمها مانديلا خلال السنوات الطويلة التي قضاها في السجن (1962 – 1990).

اللوحات جميعها مرسومة بالفحم أو القلم الرصاص وتوجد بينها عدة لوحات تمثل المشهد الذي كان مانديلا يطل عليه من خلال شباك زنزانته عندما كان سجينا في جزيرة " روبين "، حيث قضى الجزء الأكبر من فترة سجنه. وقد خصص ريع المعرض لمساعدة اطفال جنوب افريقيا. وكان عنوان المعرض حافلا بالدلالات ويمكن تفسيره على وجوه شتى، علاوة على معناه المباشر، الذي يشير الى ان اللوحات المعروضة مرسومة باللونين الأسود والأبيض أو بتعبير أدق، باللون الأسود فقط.

مانديلا الرمز والقدوة:

رغم تخليه عن السلطة بمحض ارادته وتفرغه لحياته الخاصة وتقدمه في السن، الا أنه كان دائب النشاط في سبيل السلام العالمي وخير البشرية واسهم بفعالية في العديد من المؤتمرات والندوات العالمية والتي كانت تكتسب اهمية خاصة عند مشاركته في اعمالها.

حظي مانديلا بأحترام العالم بأسره وتجلى ذلك بأبلغ صورة في مظاهر الحفاوة والتكريم التي قوبل بها في كل مكان ،.وقد اغدقت عليه العديد من الدول الأوسمة الرفيعة ومنحته عدد من أشهر جامعات العالم شهاداتها الفخرية. ولمانديلا مكانة خاصة في قلوب الكنديين. وقد منحته الحكومة الكندية لقب المواطن الفخري في احتفال خاص اقيم في متحف الحضارة في هيلي بمقاطعة كيوبيك واطلقت وزارة التربية الكندية اسمه على احدى مدارس تورينتو ، ومنحته جامعة تورينتو شهادة الدكتوراه الفخرية في القانون.

كما أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 2009 يوم 18 فبراير من كل عام بوصفه" يوم مانديلا " العالمي.

أصبح مانديلا موضوعا خصبا للعديد من الأعمال الأبداعية وانتجت عنه افلام وثائقية وروائية ومنها فيلم (الذي لا يقهر، بالإنجليزية Invictus)،وهو فيلم دراما تم إنتاجه في الولايات المتحدة سنة 2009 ويتناول محطات في سيرة حياة مانديلا، ويصوّر محاولته لجعل لعبة الركبي والرياضة لغة عالمية مضادة للغة التمييز العنصري والعنف في بلد أنهكه النزاع العنصري. ولأن الاختيار وقع على جنوب إفريقيا كي تستضيف اللعبة عام 1995، في محاولة لجلب البيض والسود الى مكان واحد تجمعهم لعبة رياضية بعد عقود من الفصل العنصري. فإن الفيلم يظهر كيف استثمر مانديلا هذا الحدث في مشروعه المناهض للعنصرية مع سرد استعادي سينمائي لمراحل من حياة المناضل الافريقي.

ظاهرة فريدة:

مانديلا ظاهرة فريدة في عصرنا، فقد تخلى عن السلطة بعد أن نجح في انهاء الفصل العنصري وزرع روح الوئام و الأنسجام بين شعوب جنوب أفريقيا وحقق لشعبه ما كان يصبو اليه من حرية وديمقراطية وأستقرار وسلام. وأعترف العالم بمواقفه المشرفة من قضايا الشعوب المناضلة من اجل حقوقها المشروعة،.لهذا كله حظي بأحترام العالم بأسره.

وعندما كتب " أنا على أستعداد للموت " كان على يقينٍ أن المباديء السامية التي ضحى من اجلها لن تموت أبداً. من أقوال مانديلا:

1 ــ أنا لا أستطيع أن أنسى ولكن أستطيع أن اسامح وأغفر.

2 ـ ناضلت ضد هيمنة البيض كما ناضلت ضد هيمنة السود.

3ـ لا احد يولد وهو يكره انسانا آخر بسبب لون الجلد او الأصل او الدين ، الناس يتعلمون الكراهية، واذا كانوا قادرين على تعلم الكراهية، ينبغي السعي لتعليمهم الحب، لأن الحب أقرب الى قلب الأنسان.

4 ـ المساواة الحقيقية أمام القانون تعني حق الأسهام في وضع القوانين التي تعيش بموجبها، ووجود دستور يضمن الحقوق الديمقراطية لكل الشرائح الأجتماعية، والحق في اللجوءُ الى المحكمة لطلب الحماية او المساعدة في حالة انتهاك الحقوق التي يكفلها الدستور، وكذلك الحق في المشاركة في ادارة العدالة بصفة قاض او محام او ادعاء عام او أي صفة رسمية أخرى.

5 ــ عالمنا، عالم الأمال و و التطلعات، ومن ناحية أخرى هو عالم المعاناة والأمراض و الفقر

6ـ ان تستاء وتغضب، مثل ان تشرب السم على امل أنه سوف يقتل أعدائك.

7 ــ يجب علينا استخدام الوقت بحكمة وان نتذكر ان القضية العادلة يمكن البدء بها في اي وقت.

8 ــ ان تكون حراً لا يعني ان تنزع عن نفسك السلاسل فقط ولكن ان تعيش وانت تحترم وتعزز حرية الآخرين.

9 ــ لا ينبغي ان نتوقع من الناس المحرومين من حق التصويت الأستمرار في دفع الضرائب لحكومة لا تمثل امامهم للأستجواب.

10 ــ ليس المهم ان لا تصاب بكبوة، بل ان تنهض بعد كل كبوة.

11 ــ اداء الواجب بصرف النظر عن العواقب هو احد الانجازات السامية للانسان.

12 ـ ليس من الصعب ان تغير المجتمع بل ان تغير نفسك.

13 ـ لا يمكن ان تكون الحرية جزئية.

14 ــ من السهل جدا ان تحارب وتدمر. ولكن البطل الحقيقي، هو الذي يصنع السلام ويشرع بالبناء.

15 ـ عندما تصعد جبلا عاليا ينفتح امامك عدد هائل من الجبال التي ينبغي عليك الشروع بالصعود اليها.

قلنا في ما تقدم ان مانديلا كان خطيبا مفوها لا يجارى ولم يكن يلقي الكلام على عواهنه .بل ان خطبه ومؤلفاته كانت زاخرة بالحكم البليغة التي تعبر عن تجربته السياسية والنضالية والحياتية وفي ما يلي باقة من كلمات مانديلا الخالدة:

في اليوم العالمي لنيلسون مانديلا..

الأمم المتحدة تدعو إلى جعل العالم أكثر عدلا ورحمة

اعداد: منارات

اليوم هو اليوم الدولي لنيلسون مانديلا وهو يوم عالمي أعلنت عنه اليونسكو في 10 نوفمبر 2009. للاحتفال به في 18 يوليو من كل سنة بمناسبة ولادة الزعيم نيلسون مانديلا الذي كافح ضد الأبارتيد ثم أصبح رئيسًا لجنوب أفريقيا وذلك «اعترافاً بإسهام رئيس جنوب أفريقيا الأسبق في ثقافة السلام والحرية» حسب المنظمة.

في هذا اليوم، يدعى كل مواطن في العالم لتكريس رمزية سبعة وستين دقيقة من وقته للعمل في خدمة المجتمع، لإحياء ذكرى السنوات السبعة وستين الذين كرسهم نيلسون مانديلا لمكافحة العنصرية والدفاع عنحقوق الإنسان.

تم الاحتفال بأول يوم لنيلسون مانديلا في 18 يوليو 2010، ووافق هذا اليوم عيد ميلاده الثاني والتسعين. وجاء اعتماد الجمعية العامة لقرار الاحتفال باليوم الدولي لنيلسون مانديلا اعترافا بـ"اسهامات الرجل البارزة في إنشاء جنوب افريقيا ديمقراطية غير عرقية ولا تفرق بين الجنسين، وكذلك في ترويج ثقافة السلام في مختلف أنحاء العالم».

قال أنطونيو غوتيريش أمين عام الأمم المتحدة بمناسبة هذا الاحتفال، إن «اليوم يكرم العالم عملاق عصرنا قائد شجاعة لا مثيل لها وإنجاز عظيم؛ ورجل ذو كرامة هادئة وإنسانية عميقة، مضيفا: كان نيلسون مانديلا معالجًا للمجتمعات ومرشدًا للأجيال، يظل بوصلة أخلاقية ومرجع لنا جميعًا»، جاء ذلك خلال كلمته في اليوم الدولي لنيلسون مانديلا.

وأضاف أمين عام الأمم المتحدة، أن مانديلا سار على طريق الحرية والكرامة بتصميم فولاذي، وبروح الرحمة والحب وأظهر أن كل واحد منا لديه القدرة والمسؤولية لبناء مستقبل أفضل للجميع.

وأشار غوتيريش إلى النزاعات والحروب في العالم قائلا "عالمنا اليوم مشوه بالحرب، وحالات الطوارئ؛ تعاني من العنصرية والتمييز والفقر وعدم المساواة؛ والعالم مهدد بكارثة المناخ، مضيفا "دعونا نجد الأمل في مثال نيلسون مانديلا والإلهام في رؤيته».

وأكد غوتيريش « اليوم وكل يوم، دعونا نحترم إرث نيلسون مانديلا من خلال اتخاذ الإجراءات اللازمة، من خلال التحدث ضد الكراهية والدفاع عن حقوق الإنسان، باحتضان إنسانيتنا المشتركة الغنية بالتنوع ومتساوية في الكرامة ومتحدة في التضامن، ومن خلال جعل عالمنا أكثر عدلاً ورحمة وازدهارًا واستدامة للجميع».

ولد نيلسون مانديلا في 18 يوليو 1918 في مقاطعة «مفيزو» بجنوب افريقيا. وانضم إلى حزب المؤتمر الوطني الافريقي في عام 1944، و أسس مع آخرين «عصبة الشبيبة» التابعة للحزب.

وفي عام 1952، دشن حملة "تحد" التي كانت حملة عصيان مدني كبيرة اعتراضا على القوانين الظالمة، ما كلفه حكما بالسجن مدى الحياة في عام 1964.

وفي فبراير 1990، خرج مانديلا من السجن بعد أن أمضى فيه 27 عاما، ليعود بعدها إلى مواصلة نشاطه السياسي، وتولى قيادة المؤتمر الوطني الإفريقي و المفاوضات التي أفضت الى وضع حد لنظام الفصل العنصري و إقامة حكومة متعددة الاعراق في جنوب افريقيا.

وانتقل نيلسون مانديلا بعدها بصفته نائب رئيس حزب المؤتمر الوطني الافريقي إلى نيويورك في يونيو 1990 أين ألقى خطابا أمام لجنة الامم المتحدة الخاصة بمحاربة الميز العنصري.

كرس نيلسون مانديلا 67 عاما من حياته في خدمة الإنسانية كمحام لحقوق الإنسان وسجين ضمير وصانع سلام دوّلي وأول رئيس منتخب ديمقراطيا لدولة جنوب إفريقيا بعد فوز حزب المؤتمر بأغلبية ساحقة في اول انتخابات متعددة الاعراق تنظم في البلاد.

تقاسم جائزة نوبل للسلام عام 1993 مع الرئيس الاسبق لجنوب افريقيا فريديريك دو كلرك. وقرر مانديلا في عام 1999 الانسحاب من الحياة السياسية، مواصلا في الوقت ذاته الدفاع عن الحرية و العدالة الاجتماعية و حقوق الانسان الى غاية وفاته في ديسمبر 2013 عن عمر يناهز 95 عاما.

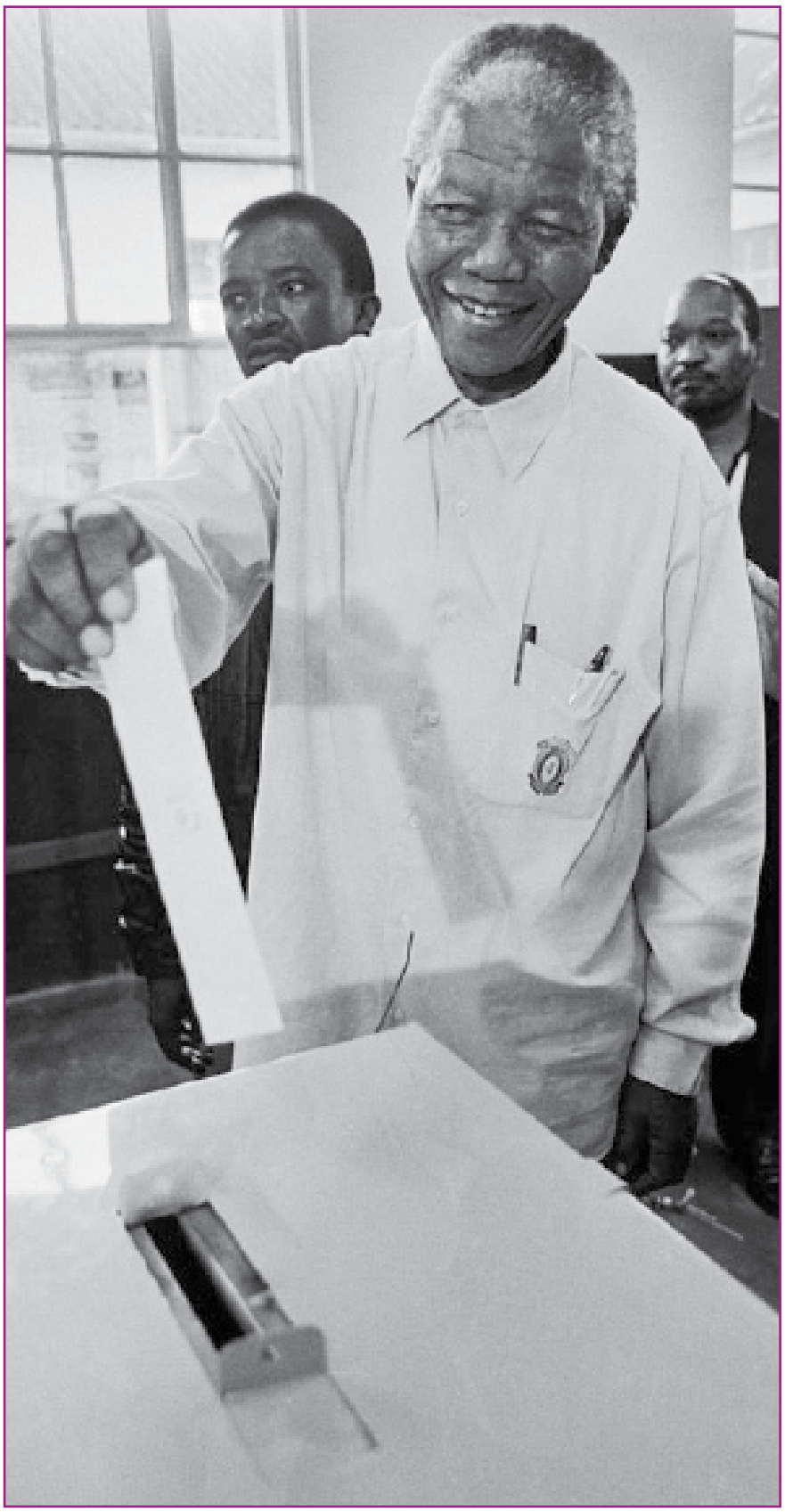

manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

قصيدة لأجل مانديلا

هالة صلاح الدين

إن كتاب المختارات الشعرية "تحية لمانديلا: نيلسون مانديلا في الشعر" (2006) الصادر لتكريم مانديلا (1918-2013) في عيد ميلاده الثامن والثمانين ليس مجرد قصائد تحتفي برجل واحد، وإنما قصة مترامية محبوكة على مدار ثلاثين عاماً على لسان شعراء من بلاد العالم كافة، تصف بعين الفنان صراع الإنسان في سبيل العدالة والإخاء، صراع قلما ينخرط فيه السياسيون.

يشمل شعراء سياسيين سابقين وفناني راب وشعراء يتقنون الفنون الأدائية، بل وطفل في الثانية عشرة. يتتبعون مساراً فخوراً استهله مانديلا كمدافع صلب عن الحق حتى أواخر أيامه وهو "عجوز جليل" ينطق بالحكمة.

ما كان مصيره واضحاً كل الوضوح على الدوام.
ولكنه ألفى سبيله بدون ذرة من خوف.
كانت أحلامه هي أحلامي وأحلامك.
×هيكتور ماوونجا، ناميبيا.

يتفرد الديوان كمثال نادر تختلط فيه الصور البلاغية بالوقائع التاريخية، ويطرح سؤالاً: كيف يمكن أن يسرد الشعراء التاريخ؟ وأبرع جوانب هذا الكتاب سطوعاً هو كونه مختارات نابعة، رأساً، من معاصريها، يمْكن استغلالها في يبصر الجيل الحالي بمعركة أفريقيا مع التفرقة العنصرية على نحو لا يضجرهم، كما هو الحال في التاريخ المكتوب. إنها مسيرة شكلت العالَم أجمع، لا دولة واحدة.

ما هو إلا يوم آخر في الحياة
يا قلب أفريقيا،
لا أطيق انتظاراً حتى أبصرك
من بعيد
لقد حملتَ الدرع
لا لتوجه لوماً، وإنما
لتتفهم
اختبرتك الأيام
ووضعتْ ثقتك
أن في يوم من
الأيام
وفي وقت من الأوقات
سوف يعي الرجال.
نشتاق إلى سماع هذه الكلمات من جديد
السلام، التواضع، الوحدة والمصالحة
بين رجال أفريقيا العظماء.
× بروسي نانيومبي، أوغندا
قصص كونية

وهكذا يقص علينا ناشط جنوب أفريقيا دينيس بروتوس والشاعر البريطاني روبرت ديدريك وكاتب جنوب أفريقيا جيريمي كرونين ظروفا غاية في القسوة وكدحا لا يطيقه بشر عاشه مانديلا مسلوب الحرية – لا الإرادة – في السجن. كما يُبَصِّرنا شاعر جنوب أفريقيا أرثر نورتجي بدينامكية السياسة إبان حكم البيض لجنوب أفريقيا، بينما يتدبر شاعر جنوب أفريقيا فازل جوهينيس كيف أسهم الإرهاب والعنف في إشعال مناخ التعصب.

ويصور السياسي كارل نيهاوس وشاعر جزيرة بربادوس كامو براثويت الملابسات الاجتماعية والاضطهاد الذي عاشته الأغلبية الأفريقية.

كلها قصص تمس بصورة أو بأخرى مناضل جنوب أفريقيا الأوحد، وإن تراوحت سياسياً واجتماعياً وعالمياً لتسلك سبلاً شتى. يكتب شاعر جنوب أفريقيا بونجوموسا ديريك، "بفضلك يمكن للرجل الأسود أن يسير في الشارع بحرية. بفضلك بمقدور الطفل الأسود أن ينال التعليم نفسه الذي يناله الطفل الأبيض. لقد وضعتَ جنوب أفريقيا وبقية أفريقيا على خريطة العالم. حسبوا أنك ستخرج من سجن "روبين" واهن القوى، لكنك خرجت أقوى وأقوى.»

وفي سياق مسيرة مانديلاً يصف شاعر جنوب أفريقيا أوزولد ماتشالي تأثير القضاء على الهوية القبلية على بلاده التي كانت تجاهد من أجل مزج الفئات الاجتماعيّة دون تمييز على حين يسلط الكاتب الأمريكي مايكل سميث وشاعر جنوب أفريقيا بيتر هورن الضوء على الأبعاد العالمية لكفاح مانديلا ويسبغان عليها سياقاً، يفسران أيضاً كيف تطور هذا الصراع القومي ليصير حملة كونية تنحاز إلى الضعفاء – مقاومة أغلبية مطحونة لأقلية لا ترى فيها إلا السواد.

لعل أجمل قصائد الكتاب هي تلك التي تشدد على تفرد مانديلاً كإنسان لا كسياسي، بوصفه رمزاً متفرداً يكابد جوهر الصراع، على المنابر، وفي السجون؛ قبل السجن وبعده؛ وحتى آخر أيامه. فقد عاينت هذه القصائد حال دولة أورثها مانديلا لشباب الجيل، بكل معضلاتها وإخفاقاتها وإن تبدت دولة مختلفة الآن تمام الاختلاف عن تلك التي سلبته حريته.

إرث عالم

تسطع كل هذه الأفكار في إطار شعري تتعدد حبكاته وتقنياته، وكل واحدة منها تتحدى وتُشرِّح العنصرية كما شهدها مانديلاً في مستهل شبابه، والعنصرية التي سحقها في عقر دارها، وتلك الواهية المتخلفة حتى الآن في وطنه الأم.

وهكذا فيما تنحني هذه المختارات تكريماً مستحقّاً لمانديلاً نفسه، تشتمل على المزيد: إنها نافذة شعرية تطل على تاريخ جنوب أفريقيا منذ مستهل العقد السابع من القرن العشرين وحتى الوقت الحالي، تنير إرثاً عرَّف دولة وعالماً، لا رجل بمفرده.

لقد سجنوا صقراً في قفص مترع بالقسوة
ومع ذلك اقتاتت الحمامة على الوحدة،
وبزغت
طرحتَ السلطة جانباً لتصير موسى
وبرقّة أظهرتَ لنا الحق
مانديلا، مانديلا، لقد احتجنا إليك
لم لم يدركوا من كنتَ؟
× جيه ركينار، برمودا

سنوات روبين

استلهم شعراء القصائد الأولى أبياتهم من سنوات السجن الطويلة في جزيرة روبين.

من بين أولى القصائد قصيدة "وأشاهدها في مانديلا" (1974) بقلم شاعر جنوب أفريقيا جون ماتشيكيزا، وقد خطها في أحلك أيام مانديلا. "لقد كنا في انتظار هذه اللحظة طيلة حياتنا. ذلك كل ما يسعني قوله. طيلة حياتنا،" هكذا عبّر ماتشيكيزا عن لحظة خروج نيلسون مانديلا من السجن.

لا من أجل أمن يكتنف الصمت
فتح هذا الرجل ذراعيه للقيادة.
تتعلق قوة كلماته في الهواء
كما تظل قوة عينيه فوق السماء؛
تمر سنوات الانتظار نافذ الصبر
بينما يتحرق هذا الرجل ليبدد عن الهواء الدخان.
ثمة نار تنشب هنا،
ولا سجن بمقدوره
أن يخمدها في هذا الرجل؛
وأشاهدها في مانديلا.
إرثنا الأبدي
ويوم تحرر المناضل من أسره في فبراير 1990، كتب شاعر جنوب أفريقيا كريس مان في قصيدة "مُروِّض" (1992):
تبزغ إلى المنَصّة،
قصياً كما الإله، كما الرمز المقدَّس،
تَرفع ذراعيك، فنرسل هديراً
في اهتياج يشي بالافتتان.

لم يغض محرر الكتاب، الناقد ريتشارد بارتليت، النظر عن قصائد تنتقد رجلاً ينظر إليه الكثيرون نظرتهم إلى بطل. من بينها قصيدة لأحد مؤيدي سياسة التمييز العنصري، يبث سمومه تجاه الرجل قائلاً إنه "نال ما استحقه" بيد أن أغلب القصائد تجري حواراً حميماً مع مانديلاً نفسه. يتخيل الشاعر النيجيري جيكوو إكيمي في قصيدته "عندما يرحل مانديلا" (2004) الحياة بعد رحيل أيقونة هيمنت على تاريخ جنوب أفريقيا لما يربو على نصف قرن:

عندما ترَحل إليها أيها الجندي المختار في كفاح الأحلام
لن تحجب دموعنا رحلتك العائدة إلى الوطن.
عندما ترحل يا مانديلا سوف يصبح نبلك إرثنا الأبدي
وسوف تستمر في حبّك، هذه الأرض التي تحبها من كل قلبك،
سوف نتتبع المسيرة الطويلة المهيبة
وسوف تصير مسيرتك الشجاعة صليبنا وراعينا.
حصى الطريق

ويخاطب دامياو فاز دالميدا، رئيس وزراء جمهورية ساوتومي وبرنسيب الديمقراطي، مانديلاً في قصيدته "قصيدة إلى الريح الجنوبية" (1987) مستلهماً حياته وتجربته:

ويحذو الرجال حذو خطواتهم
يحصون في صبر حصى الطريق
طريق طويلة تُغلِّف
فيها روح التمرد
شأنها شأن نور التألق الملهم
تتعالى ضد القَدَر الباهت
المفروض على عَلَمك المشوَّه

منذ أغلق السجان باب السجن في وجه أشهر سجناء الإنسانية خاض الشعراء المعركة – لا للدعوة إلى حرية فرد، وإنما حرية شعب برمته، عِرق بالكامل، إنسانية تلطخت بدنس العنصرية.

يضم كتاب "تحية لمانديلا: نيلسون مانديلا في الشعر" قرابة 100 قصيدة خطَّها كُتاب من 25 دولة. وهكذا أصبحت أقلام أجيال من الشعراء – من بينهم الشاعر الأيرلندي شيموس هيني والنيجيري وول سوينكا – أسلحة سياسية بدون التضحية بملكاتهم الشعرية وقدرتهم على رسم الأحلام، "كلي الوجود كضوء الشمس، صلب كما الصخرة، مرن كعود القصب" (إيفا ماتيو، أسبانيا).

ومن خلال إيماءات من الإبداع المفعم بالعاطفة تتوالى قصائد تعكس تأثير مانديلا الساحق وتُبرز عاطفة نبعت منه وتحتفي بتراث مكافحي العنصرية، لكي تُسجل بحس الفنان كيف بات مانديلا أيقونة من أيقونات الغبن العنصري – وكذلك تجسيداً للأمل والحياة.

عن الحوار المتمدن